

## نسي الظلام ثورة الدماء ..

محمد عبدالله فضل الله.

أديب وكاتب - لبنان.

المبريد الإلكتروني mohammad-fadlullah@hotmail.com

معاول يافعين على امتداد القبور الجماعية الضائعة، قبورٌ لعنت جيشاً لا يقهر تكسر عند عناد حقها وبأس شبابها، قبورٌ شواهد على الفرج المأمول المنحدر من عيون الشمس وكبد النهارات.

نعم، لقد رمى الفجر فجرنا وتعالى غدرهم تيهماً، مهما حاولوا الاستمتاع باستيلاء جدران تخنق النسيم، سيتربح الأحرار حول موائد الصبر هاتفين سينجلي الغبار عن آدم عن النهار.

ظنوا في كبريائهم المعتوه أنهم قد سرقوا عروق التراب وأفرغوا تاريخنا في تماثيل جوفاء وأنهم زرعو الحزن الطويل ورعشة الموت، نسوا أن هناك من يحطم هذه التماثيل ومن يقطع أيدي التجار يمد العروق إلى الشمس إلى العرش المجيد. لا تنتظري فلسطين سوى منابت الأحرار يحملون مشاعل الغار وسعف النخل، لا نكبة لا انكسار لا نكسة لا استسلام سينبت الثأر بنادك فخر ويغسل بعزة كل عار.

نعم، أمس لك فلسطين واليوم والغد وملح الأرض وقمح الحياة وبيادر التاريخ يعتصر روح السنوات لك كل جراح تزغرد تلعن الأقدار، تقيم أعراس الفرح على وجوه المدن والقرى وتعيد مواسم الذكريات إلى قلب الذاكرة المضخبة بالدماء.

نعم، فلسطين جفونك المعذبة لا بد وأن تورق جنائن دفء وحياة، وبسمات تتقاسمها قلوب طاهرة تحترق عندها مراكب الحاقدين، ستتكلم الحجارة العريضة القابضة على المصير وستعصف بنادق الجهاد تفتتح من الثغور الحمراء تلعن السبات وحنوط الجليد.

هو نصرك أزهر ربيعك وآذن فجره بالانبلاج لاحت راياته، راحت رجاله تعصر خمرته وتسكبها في كناس مرجانية تُحي كل آن عيداً يتلوه عيد.

نعم، ليس من شيء ثابت في دنيا الحجارة والعبيد حيث لا شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار ولم تكن إذا ذاك من نجوم ثابتة تداعب أحلام الأطفال المتوقدة التي تلاحق السعادة إلى أماكن يسبح فيها المجهول.

نعم، هي دنيا المحتلين الغاصبين التي تتضايق من الأحلام الطفولية ومن أمان على وجه أرض تمسح من على عباتها صلوات عند كل فجر وغروب وليل ادلهم.

نعم، عند بلد الوحي وأشجار الزيتون والنخيل توقفت آنما ما مؤامرة دنيئة حيكت في بيت الدنس والكفر والجريمة قالت: لا بد من أن يتوقف جريان الماء في العروق، لا بد من محو المنازل العامرة بالضحكات، لا بد من حجب الأفق بجدران الحصار العالية، لا بد من جعل الناس غداء في فوهة بركان دموي جائع لا يشبع، لا بد من زرع القنابل حقولاً بدل أمواج السنابل.

هكذا زحفت جيوش الذئاب بأسنان حادة تكسر عظام الأطفال وصاروا ينهشون أيادي النساء المعكوفة على الحجارة المتدلّية من مناديل الكرامة، ذئاب لا تطيق صلباناً ولا مآذن زحفت على أزيز الرصاص وهدير الطائرات وأصوات الجرافات، زحفت على دوي انفجارات ما لها من قرار، زحفت على آهات أمهات حاسرات قابضات على جمر الشوق لأبنائهن الأسرى في قعر السجون.

نعم، زحفت على عقارب ساعة زلزال وطوفان، لا تزال الأرض بخير وإن اهتزت وطالت فترة الأسر واشربت أعناق الزنازين الملعونة تقعات على جلود النسيان، نسي الظلام ثورة الدماء تسطع من جبين الأحرار وتضيء على بشاعته وتصرع جنود وحشيته وتكتب تاريخ الانتصار تسخر من الموت وترضع التاريخ من دماء العزة والإيمان والإضراب عن الطعام.

نعم، لا طعام سوى الصبر لا يشيخ لا يموت قد حفرته